مقدمة

لم يدرْ بذهنى أن أكتبَ هذه الذكريات قبلَ أن أتلقَّى خطابًا من مجلّة المنهل الغراء تطلب منى أن أحرّر بابًا تحتَ عنوان «رحلة فى الذاكرة» أتحدّث فيه عن ذكرياتى الخاصة مع من عرفتُ من كُتّاب العصر الحديث وعلمائه وشعرائه، والحقّ أنى ترددتُ بعض الشيء فى البدء بكتابة هذه الذكريات، لأنّى أعرف فى نفسى انطوائية محتشمةً كانتْ ـ ولا زالتْ ـ تدفعنى إلى الانزواء عن المجتمعات الأدبيّة، ومَنْ سعدتُ بمعرفتهم من رجال الفكر كان اتصالى بهم وليد ظروف أقرب إلى المصادفة، وفيهمْ من راسَلْتُه على البُعد لدواع ملزِمَة، ومن رَأَسَ تحرير بعض المجلات العلميّة، فتأكدتْ صلتى به عن طريق النشر بمجلته، ثم بغيره من كتّابها عن طريقها أيْضًا، لذلك فكرْتُ كثيرًا فيما عرضَتْه المنهل، ولكنّ العجيبَ حقا، أننى ماكدتُ أبدأ الحديث عن واحدٍ من هؤلاء، حتى وجدتُ الأسماء أخذتْ تتزاحم، فَما أنتهى إلا لأبدأ، وكان الأمرُ من السهولة بحيث كنتُ أكتب الحديث عن الشخصية التى أختارها فى عجلةٍ لاتعرف التمهّل، إذ أجُد خواطرى تتدفّق بدون انقطاع! ولا أدرى ما رَأْى القارئ الفاحص فى هذه الخواطر، لأنّ سرعة تدوينها جعلت تخيفنى.

أذكر أنى قرأتُ للكاتب الكبير الأستاذ عباس محمود العقاد كتاب (رجال عرفتهم) فرأيتهُ يتضمن ذكرياتٍ حلوة مفيدة عن نفر من الأعلام، وقد قال الأستاذ فى مقدمته: «ونُسمّى كتابتنا عنهم بالتعليقات، ولانسميها بالسير والتراجم، لأننا لم نكتبها لنستقصى الحوادث، أو نحلّل الشخصيات، ولكنّا كتبناها لنبدى لهم رسومًا قريبة من الزاوية التى اتفقت لنا معرفتهم بها». وما قالَه العقاد يُشبه فى بعضِ

وجوهه ما حاولْتُ أن أقدّمه فى هذه الصفحات، ولا أعنى أننى أحاول اللّحاقَ بالكاتب الكبير، فهذا مما يستحيل، ولكنّى أحاولُ أن أنتفعَ بما كتب طريقةً واتجاهاً، مع الاعتراف بأنه عَلَمٌ يتحدّثُ عن أعلام.

وقد رأيتنى أهتم كثيرًا بأفكار من أتحدث عنهم، لأن هذه الأفكار هى التى جذبتْنى إلى الاتصال بهم، فهى الركيزةُ الأولى فى بناء التعارف الأدبىّ بينى وبينهم، وفى رأيى أنّ ما دَوَّنْتُه قد يضيف الجديد إلى ما يعلمه القارئون عنهم، ولن ينتظرَ منى القارئ نقدًا صارمًا، أو معارضة واخزة، لأنّ الحديث هنا عن أحبّاء اصطفيتهم لنفسى، وما وقع اختيارى عليهم إلاّ لمزايا رفيعة يتحلّون بها، فهم جديرون بالتبجيل، على أنى قد أخالف بعضَ وجهات النظر، فلا أكتمُ هذه المخالفة، بل أسجلها غير واثقٍ كل الثقة بصواب رأيى، إذ ربّما خَفِىَ علىَّ من الأمور مالم يخفَ عليهم، وحسبى أن التزم الصدق فيما أسطر، وهو فى هذا النطاق خير شفيع.

محمد رجب البيومي